295726 ـ معنى: "الجلال والإكرام" وتفاضل الأسماء الحسنى .

السؤال

يقول الله تعالي : (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ، ويقول النبي صلي الله عليه وسلم : (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام) ، فهل يفهم من الآية والحديث أن اسم ذي الجلال والإكرام هو اسم مبارك عن غيره من الأسماء الحسنى ؟ أو هو اسم مميز عن غيره من الأسماء الحسنى ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولًا:

قوله تعالى: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الرحمن/78، المقصود به: إجلال الله تعالى وإكرامه من قبل خلقه، فهو " أهل أن يُجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى " انتهى من "تفسير ابن كثير" (7/ 510).

يقول الشيخ السعدي: " ولما ذكر سعة فضله وإحسانه، قال: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ أي: تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه " انتهى من " التفسير"(831).

وهو اسم من أسماء الله بهذه الآية في عد بعض أهل العلم، وعلى هذه القراءة، انظر: "المستدرك على مجموع الفتاوى"(1/ 62).

"وهذا اسم عظيم الشأن، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم"، انظر: "آثار المعلمي"(7/ 35).

ثانيًا:

وأما الحديث: أَلِظُّوا بـ: "يا ذا الجلال والإكرام" .

فأخرجه أحمد في "المسند"(17596)، من حديث ربيعة بن عامر ، والحاكم "المستدرك" (1836، 1837) من حديث أبي هريرة ، وصححه . ورواه الترمذي وغيره من حديث أنس أيضا. وصححه الألباني ، ومحققو المسند .

والإلظاظ: اللزوم والمثابرة، فالمعنى: " تعلقوا بها والزموا وداوموا عليها " .

قال المناوي رحمه الله :

" (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) : بفتح الهمزة وكسر اللام ، وبظاء معجمة مشددة .

أي : الزموا هذه الدعوة ، وأكثروا منها ...

وفي رواية سندها قوي ، من حديث ابن عمر : (أَلِحُّوا) .. ، ومعناهما متقارب ، ذكره ابن حجر. وأيما كان ؛ فالمراد : دوموا على قولكم ذلك في دعائكم ، واجعلوه هِجّيراكم ، لئلا تركنوا ، أو تطمئنوا لغيره ...

ومعنى (ذا الجلال) : استحقاقه وصف العظمة ، ونعت الرفعة ، عزا وتكبرا ، عن نعت الموجودات؛ فجلاله صفة استحقها لذاته ، والإكرام أخص من الإنعام ؛ إذ الإنعام قد يكون على غير المكرَم ، كالعاصي ، والإكرام لمن يحبه ويعزه ، ومنه سمي ما أكرم الله به أولياءه ، مما يخرج عن العادة : كرامات .

فندب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإكثار من قولك : (يا ذا الجلال) ، في الدعاء ؛ ليستشعر القلب من دوام ذكر اللسان ، ويقر في السر تعظيم الله وهيبته ، ويمتلىء الصدر بمراقبة جلاله ؛ فيكرمه في الدنيا والآخرة) انتهى، مختصرا من "فيض القدير" (2/160) .

وانظر: "الجواب الكافي"(13)، و " آثار المعلمي" (7/ 63).

ثالثًا:

في الآية بحثٌ لخصه العلامة المعلمي اليماني، حاصله:

" قوله تعالى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن/78. وقد قرأ ابن عامر وأهل الشام: "ذو" .

قالوا: ولفظ "تبارك" يجيء في الغالب مسندًا إلى الله عزَّ وجلَّ، كقوله تعالى: (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)الأعراف/54 ، (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) المؤمنون/14 وغير ذلك. وكذلك في السنَّة، كما في حديث: "تباركت ربنا وتعاليت".

والجواب: أن إسناده إلى الاسم نفسه قد جاء في الكتاب، كهذه الآية وغيرها، وفي السنّة كما في الدعاء الآخر: "تبارك اسمك وتعالى جدُّك".

ولا داعي إلى تأويله؛ لأن معنى "تبارك": تكاثرت بركته ، أي : خيرُه.

وأسماء الله تبارك وتعالى كثيرة البركة، فبها تستفاد الخيرات، إذ بها يدعى سبحانه فيجيب، ويُستعان فيعين، ويُستغاث فيغيث، ويُستغفر فيغفر، وبه يُوحَّد ويُمجَّد ويُحمَد ويُسبَّح، إلى غير ذلك.

وقد قال ابن الأنباري: "تبارك الله: أي يُتبرك باسمه في كل شيء". ذكره صاحب لسان العرب وغيره .

فإن قيل: لكن السورة من أولها إنما عددت نعم الرب وبركاته وخيراته عزَّ وجلَّ، ولا يظهر فيها ما يتعلق بالاسم ؟

قلت: هذا سؤال قوي، وجوابه بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ سهل، وهو أن تلك النعم تتعلق باسمين من أسمائه سبحانه، أحدهما: الرحمن، والثاني: الربّ.

ودلّ على ذلك بناؤه السورة على الأول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) ...).

ثم عقب تفصيلها ، بعنوان الثاني، وذلك قوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

ومعنى الرحمن والرب موافق لذلك، فقد يكون أحد هذين أو كلاهما هو المراد بالاسم.

فإن قلت: إن النعم لا تتعلق بالاسم نفسه، وإنما تتعلق بالصفة التي دلَّ عليها، وهي الرحمانية والربوبية.

قلت: لا مانع من أن يقال: تبارَكَ الاسم الدالُّ على تلك الصفة.

هذا، وإذا أسند التبارك إلى الاسم، فثبوته للصفة من باب أولى، وللربِّ عَزَّ وَجَلَّ أولى وأولى.

وهذا معنى مقصود فيه زيادة في الحمد والثناء والتعظيم.

والخروج عن الظاهر بالقول بزيادة لفظ "اسم"، أو بما يصير في معنى الزائد، يلزمه نقص في ذلك المعنى العظيم.

فأما قراءة ابن عامر وأهل الشام، فإن استكثرت على اسم الله عزَّ وجلَّ أن يوصف بأنه ذو الجلال والإكرام، فاجعل قوله: (ذُو) خبرًا لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، أي الرب، وبهذا توافق هذه القراءة معنى قراءة الجمهور.

وإن شئت فاجعل (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)) بيانًا للاسم، أي تبارك هذا الاسم، وهو "ذو الجلال والإكرام" لدلالته على ما تضمنته السورة من عظم جلال الله عزَّ وجلَّ، وكثرة إكرامه بالنعم.

وهذا اسم عظيم الشأن، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم. وفي حديث رواه أهل السنن وصححه الحاكم على شرط مسلم: "أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع رجلاً: "اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنَّان المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم". فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "دعا الله باسمه الأعظم ... " الحديث.

وفي حديث صححه الحاكم أيضًا: "ألِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام". والإلظاظ: اللزوم والمثابرة. والله أعلم " انتهى من "الآثار"(7/

.(35 ـ 32

رابعًا:

دلت الآية الكريمة، والحديث الشريف : على أن "اسم الله" جل جلاله : مبارك ، عظيم البركة ، كثير الخير .

ودل الحديث على فضل الدعاء بذلك ، والتوسل إلى الله به ، والإلحاح على الله في الدعاء به .

وهذا كله واضح ، لا إشكال فيه .

وأما أنه أفضل من غيره من الأسماء ، أو أعظم بركة منه : فليس في الآية ، بل ولا في الحديث : ما يدل على ذلك .

فقد يكون الأمر بالإلحاح على الله به في الدعاء ، لخصوصية له في باب الدعاء ، ولا يلزم من ذلك الفضيلة مطلقا .

وأيا ما كان الأمر : فالجزم بفضل "ذو الجلال والإكرام" ، على غيره من الأسماء ، ليس هو مما نص عليه الحديث ، ولا هو بالظاهر من الآية ، وإنما هو محتمل ، وارد ، يحتاج الجزم به إلى دليل آخر ، أظهر من ذلك .

وأما التفاضل في الأسماء والصفات ، بصفة عامة : فهو وارد ، مقرر ، وهو مذهب أهل السنة في هذا ؛ أن أسماء الله جل جلاله تتفاضل ، وآياته تتفاضل ، وكتبه تتفاضل فيما بينها ، وبعضها أفضل من بعض ، وأعظم بركة من بعض .

جاء في "الموسوعة العقدية، للدرر السنية" :

" والحاصل أن أسماء الله كثيرة لا تحصر ولا تحد بعدد، وهي متفاضلة غير متساوية في الفضل، بعضها أفضل من بعض، وإن كانت أسماء لمسمى واحد .

والأدلة على تفاضل أسماء الله متعددة، فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه سبحانه أفضل من بعض .

ففي الآثار ذكر اسمه الأعظم سبحانه ، وقد وردت روايات متعددة في ذكر الاسم الأعظم، ففي روايات يقول صلى الله عليه وسلم: (لقد سأل الله باسمه الأعظم). وفي أخرى: (دعا الله باسمه الأعظم)، (لقد دعا الله باسمه العظيم)، وفي أخرى: (اسم الله الأعظم في كذا) .. ، على اختلاف في تعيين الاسم الأعظم ما هو؟ وهي مسألة للناس فيها خلاف معروف في كتب العلم.

ففي هذه الروايات دلالة ظاهرة على تفاضل الأسماء الحسنى، لدلالتها على أن في الأسماء الحسنى اسم أعظم يفضلها فهو أعظمها.

ومن الأدلة على تفاضل أسمائه سبحانه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحد، من أحصاها

دخل الجنة).

فخص النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الأسماء التسعة والتسعين بهذه الفضيلة، وهي أن من أحصاها دخل الجنة، فاختصت بهذه الفضيلة.

وأسماء الله غير محصورة في هذا العدد ، فله سبحانه أسماء غيرها، إذ هذه هي دلالة الحديث التي نقل النووي الاتفاق عليها في قوله: " واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها"...

وذكروا وجوه تفاضل أسماء الله تعالى، فلتراجع :

https://dorar.net/aqadia/657

وانظر جواب السؤال رقم: (146569) .